اللغز الشعبي

أ.د رابح لعوبي
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة باجي مختار- عنابة

ملخص

يبين هذا المقال مفهوم اللغز في اللغة والاصطلاح ، ونشأة اللغز الشعبي، وموضوعاته وغاياته وخصائصه الأسلوبية، و صور التعبير عن الموضوع الواحد شعرا ونثرا، وذلك من خلال نماذج مختارة ومفصلة تفيد الباحث والمتعلم .

كلمات المفاتيح: اللغز الشعبي، شكله، مضمونه، أنواعه، خصائصه.

Résumé

Cet article traite le thème de l'énigme populaire à partir de l'analyse du concept lui-même en passant par les origines et les sujets abordés. Aussi, cet article indique les caractéristiques du contenu et de la forme d'expression (prose ou poésie) utilisés dans les sujets de l'énigme.

Mots clés : Enigme populaire, forme d'expression, genre, caractéristique, contenu.

Abstract

This article investigates the theme of popular riddle starting from the analysis of the concept itself taking into account the origins and the discussed subjects. Furthermore, this article indicates the characteristics of the content and the form of expression (prose or poetry) used in the riddle's subjects.

Keywords: Popular riddle, form of expression, genre, characteristics-content.

أولا . مفهومه:

1 . في اللغة:

اسم مشتق من فعل لغز يلغز. يقال: لغز الشيء : مال به عن وجهه. ولغز في يمينه : دلس فيها على المحلوف له، وألغز اليربوع جحره :حفره ملتويا ،مشكلا على داخله.

واللغز في الكلام: التعمية، وهي ضد البيان. والغز الكلام : عمى مراده و لم يبينه، ولاغزه ملاغزة : كلمه على طريق اللغز أو الإبهام.

واللغز بضم اللام و سكون الغين و فتحها: حجر اليربوع وأيضا الفار والضب، وكذلك بفتح اللام وسكون الغين.

ومن هذا المفهوم أطلق على الطريق الملتوية المشكلة على سالكها .

2. في الاصطلاح :

هو الكلام الغامض أو الذي فيه تعمية، يقصد به أمرا ما، يدرك من خلال عناصر لها وجه الشبه بالمعنى المقصود أو بأسرار المراد الذي أبهمته التعمية في الكلام أو الأسماء و الأفعال.

ثانيا . تطور مفهومه :

يدل في العامية على الأحجية أو الأحجوة ، والأولى أشهر، والفعل منها: حاجى يحاجي محاجاة و حجاء: ألقى كلمة متحجية، يختلف اللفظ فيها عن المعنى للمغالطة واختبار الذكاء، أو مغالبته في الحجى.

ومن ثم فالأحجية ذات صلة بالحجى وهو العقل والفطنة والذكاء. يقال : حاجيته فحجوته :أي غالبته في الفطنة فغلبته.

فالأحجية وجمعها أحاجي وأحاج، تطلق على الكلام المغلق كاللغز يتحاجى الناس فيها، و بالتالي فهي صنف من الألغاز التي هي جنس أدبي شعبي في العامية و الفصحى.

واللغز في جوهره استعارة ،تنشأ نتيجة التقدم العقلي في إدراك كل ترابط أو شبه أو اختلاف، وهو يحتوي على عنصر الفكاهة الكامن في عدم التوقع .

ثالثا . غايته:

أربعة، و هي:

1. الاختبار المعرفي.

2 . –التربية العلمية

3 – التسلية البريئة

4– المداعبة

ومن ثم نعرف المستوى المعرفي للممتحن، إما بطرح اللغز عليه بغرض حله، أو بالتباري الذهني بين شخصين أو أكثر، مع مراعاة صيغة اللغز في جوابه. ففي اللغز الشعري يكون الجواب عليه شعرا، أما النثري فيكون نثرا، وكل منهما تربية مباشرة سواء في السهرات أو مجالس الأنس، فضلا عن أنها تزجية لوقت الفراغ، أو تسلية بمناسبة سعيدة مرتبطة بليل أو باجتماع الناس والأطفال والصبايا أو بغرض إثارة مشاعر الأطفال قبل النوم من قبل الجدة او الأم .

رابعا . نشأته:

تعود إلى مرحلة الإنسان البدائي الذي كان يحاول التلاؤم مع مظاهر الطبيعة و ظواهر الحياة، بحثا عما يحيط به من قوانين، أو رغبة في اكتشاف أسرار موجودات أثارت إحساسه أو شغلت باله وجعلته يفطر في صياغة تعكس مدى نضارة رؤيته من خلال أشكال التعبير الشعبي، مثل الأسطورة والحكاية والخرافة و اللغز الذي يمثل نظرة العقل البدائي إلى الحياة وغموضها .

ومن ثم لعبت الألغاز دورا مهما في حياة الناس في مختلف العصور، وشمل أفرادا كبارا وصغارا وجماعات، حتى أصبح عند البعض يميز مناسبات، كما هي الحال عند قبائل البانتو bantous[1]التي كانت كما يقول جيمس فريزر:

تحتفل بسقوط الأمطار برقص النساء عرايا و هن يغنين :

((اسقطي أيتها الأمطار))

فإذا اقترب منهن شخص ضربنه و طرحن عليه ألغازا ليحلها[2]

وشبيه هذا ما يحدث أيضا عند بعض قبائل الهند الصينية قبل موسم حصاد الأرز، فان حل لغزا صاح الجميع :

((دع ارزنا ينمو في الجبال و السهول))[3].

وحين ينتهي موسم الحصاد ينتهي طرح الألغاز إلى انتهاء ميعاد الزرع الثاني.

وهذه الظاهرة تجعلنا أمام لغز اللغز. وهو ما يدفعنا إلى طرح الأسئلة التالية :

1 . ما سبب وجوده ؟

2 . ما الغاية من الانشغال به في مناسبات معينة ؟

3 . هل يؤدي الخوف من حدوث كوارث إلى الإلغاز ؟

4 . هل الإتيان به وسيلة خداع ظواهر غيبية غير مرغوبة ؟

أسئلة عديدة لا مندوحة لنا من الإجابة عليها إلا من خلال معتقدات بدائية، كالاعتقاد بأن مصير القبيلة أو بعض الأفراد مرهون بمواسم أو مناسبات متكررة في حياة الناس، لهذا تتخذ من الألغاز ذريعة إلى جلب الخير ودفع الشر، وبذلك تكون العقول مرتاحة من أوهام المخاطر، و على هذا يكون إشراك الشعور بالألغاز والبحث عن حلها باعثا على إحلال الثقة بالنفس في القدرة على التأثير في القوى الخفية التي يعتقدون أن زمام الأمور بيدها.

فحل اللغز إذن هو بمثابة العصا السحرية التي تزيل الحيرة وتثير الانشراح والأفراح، فاكتناه العقل البدائي لظاهرة الغموض فيما يثير تساؤله ،كأنه امتلاك لقدر من السحر أو المدارك الغيبية، مثل القيافة [4]أو العيافة[5]، أو العرافة [6].

ولعل فيما تقوم به بعض القبائل الانجليزية حتى اليوم ما يقف دليلا قويا لسر الإتيان بالألغاز في مناسبات.

ففي بحث ((الغصن الذهبي)) لجيمس فريزر ما يتعلق بعادة بعض القبائل في حالة وفاة شخص من أفرادها، فقبل تكفينه تطرح الألغاز حفاظا على بقاء روحه، ويقوم بذلك المسنون أيضا في المقبرة قبل الدفن [7].

فهل يعني هذا أن الاهتمام الروحي للقبائل باعث على شيوع هذه الظاهرة أو نشوء لبعض القبائل دون البعض؟ وهو وإن انطبق على بعض الألغاز فانه لا ينطبق على جميعها؛ لارتباط نشأة اللغز بالبيئة والمنحى والخبرة والتجربة والمعرفة المتعلقة بحقائق الأشياء.

ومن ثم تختلف الألغاز من حيث الشكل والمضمون، وبالتالي تتعدد المجالات والدلالات، فبعضها يشمل عالم الإنسان، وبعضها عالم الحيوان والبعض الآخر عالم الطبيعة أو الكون .

كل ذلك في أساليب متنوعة، أو في ثنايا أشكال أدبية، كصورة الملك ((اوديب)) التي تضمنت لغز أبي الهول الذي تساءل عن الكائن الذي يمشي في الصباح على أربعة وفي الظهيرة على اثنين، وفي المساء على ثلاثة .

والحكاية التي ذكرت في أول سيرة عنترة ين شداد فقد تضمنت ألغازا في الأوصاف التي قدمها أبناء نزار بن معد بن عدان أمام الملك الأفعى الجوهري. و هذه الأوصاف تتعلق بالبعير الذي رأوه في وادي السمعمع، كما تمثلت أيضا في تفسيرهم لحديثهم بعد الطعام الذي اولمه الملك لهم.

وقد تتشابه ألغاز من منطقة إلى أخرى، ومن بلد إلى آخر في الموضوع أو المضمون، والأسلوب أو التركيب وبعض الألفاظ، ولا تنعدم فيها أو فـي بعضها جوانب حضارية أو تاريخية أو تربوية أو تعليمية أو خلقية أو اجتماعية أو اقتصادية، أو بصورة عامة ما يتعلق بأعضاء الإنسان وحاجاته، أو الأشياء والآلات المستعملة فيها . و كذلك ما يتعلق بالحيوان ونتائجه، أو النبات وأزهاره وثماره، أو الإجرام، وما إلى ذلك مما أدركه الإنسان بعقله أو بخياله أو إحساسه. وهذا ما نتبينه في العنصر التالي :

خامسا . موضوعاته

عديدة ومتنوعة، حسية ومعنوية وكائنات حية وجامدة، والتي ارتبطت ببعضها أو انفصلت. وهي تعكس مظاهر أو ظواهر، و تمثل صفات بعيدة أو قريبة، حقيقية اواستعارية، وتوحي بمدى التقدم الفكري وآفاق التصور الذهني او الطموح النفسي أو المعتقد الوهمي أو الخرافي أو الديني، و ما إلى ذلك. و لإيضاح هذا كله، نعتمد التصنيف التالي لموضوعاته .

1. الإنسان و أعضائه :

جاءت الألغاز في هذا شعرا و نثرا، و تعلقت بما يلي :

ا . آدم و حواء،.

ب . المرأة والجنين والمولود و الأم.

ج . الإنسان وأعضائه كاليدين والرجلين والأصابع ومفاصلها والأظافر والعينين أو العين والأنف والمنخرين واللسان والأسنان والشعر الأسود والأبيض والثدي و أطواره.

د . خروج الروح من الجسد.

هـ . الميت و حامله.

ومن الأمثلة على بعض هذه الموضوعات لغز الجنين شعرا و نثرا :

أ-القليل المسكين، الساكن في بلاد الحمايم ***مائتين و تسعين يوم و هو صايم

ب-حاجيتك، اسبولة في بير، ما عرفتها لا قمح و لا شعير .

و من أمثلة الغاز في أعضاء الإنسان لغز العين شعرا و نثرا:

أ-لا لا زينة الريش داير بيها و مليح عليها

ماهي اللي تنباع بالمال ،و قليل الي ينعطى فيها

ب-الزينة زينة الريش، و الريش مليح عليها

ماتنباع بالمال و لاكانت حاجة توصل ليها

2 . الآلات و الأشياء المستعملة في حاجات الإنسان :

كالملح و المرأة و الساعة و الحذاء و الدراجة و السيارة و القطار و المنجل و الفرن والكير و المنفاخ و عود الثقاب و البندقية و المدفع و المسدس و الطبلة و السرج و الحصير و الكوخ و الإبرة والقلم والقرطاس والرسالة والكتابة و التحية و السلام و القرآن الكريم. و من أمثلتها شعرا و نثرا:

أ . لغز الرسالة و الكتابة و القلم:

أ-الأرض فضة * و المحراث ذهب**

الزريعة تتكلم ***يا والله عجب

ب - بلادي يالبيضا و زريعتها يا لكحلة ،الخماس واحد و تجيب لخبار وين ما كان.

3. الحيوان و نتاجه:

وألغازه عديدة، شعرا و نثرا، في الأليف و نتاجه كالدجاجة و البيضة و الناقة و القط و الكلب.

وفي غير الأليف كالحية والسلحفاة و القنفذ و الغراب و السمكة، و من أمثلة ذلك لغز القط شعرا و نثرا :

أ-على اللي اسمو بالقاف ***يحوم على الفا وين يصيبو

كلمة القاف تديته * و كلمة الفا تجيتبو**

ب-عينه زرقه ، وذنه ورقه ، و متحزم للسرقه

4 . النبات و أزهاره و ثماره :

عديدة ، صيغت شعرا ونثرا، و منها :

ما يتعلق بسنبلة القمح و النخلة و ثمرها و عنقود العنب، و البرتقال و الرمان و البطيخ و الدلاع و ثمر القطاني أو الذرة و البصل و الزيت و ماء نفاية الزيتون. و من أمثلتها شعرا و نثرا :

أ. النخلة :

تبدأ بالنون، و النون في السما تنوح

هي حنينه، و اللي في قلبها مجروح

ب . الدلاعة :

على دار مدورة ،من برا مخضره، و من داخل محمره.

سكانها عبيد و تنحل بالحديد.

5 . :الأجرام السماوية أو الفلك:

مثل الشمس و القمر و السماء و النجوم، و الغاز هذه قليلة شعرا أو نثرا.

ومن أمثلتها :

أ . لغز الهلال صار قمرا :

عبد الصمد حلف يمين *** يمين ما فيه حنثه

ريت الذكر اللي كان صغير *** كبر و ولى أنثى

ب. لغز الشمس و القمر و السماء :

زوج خبز في مايدة، وحده حامية، لخرى باردة

6. الغاز في الدين:

كالتي تتعلق برمضان والقرآن الكريم و الصلوات والجمعة والعيد.

ومن أمثلتها لغز رمضان :

أ- شعرا :

على هديه من الرحمن *** للرجال و النسوان

ما ياكلها كان مريض العلة *** وإلا خارج من الملة

ب- نثرا :

عندي ازلافه (صحن)نقية، ما ياكل فيها سلطان و لا رعية، و من الصبح للعشية.

7.الغاز في متفرقات :

كالعرض و الدين و السلفة و الحبس و المقبرة و العام أو السنة و شهورها و أسابيع كل شهر. و من أمثلتها

أ . شعرا :

لغز السنة و شهورها و أيامها و أسابيع الشهر:

-ثمة راجل بلا جسم و فيه أطناش اسم

و سبعه و ثلاث مايه و خمسة و ستين قسم

ب. نثرا :

عندي شجره فيها طناش عرف ، كل عرف فيه اربعة تفاحات .

سادسا . خصائصه:

1 - التوقيع الصوتي

2 - تنوع صور التعبير عن الموضوع الواحد

3 - الرمزية

4 - التكرار

5 . طابع الحكاية الشعبية

وتبيانها في ما يلي :

1 . التوقيع الصوتي:

حرص الذوق الشعبي على انسجام الأصوات في الألغاز ،لتأثره بالألحان و الأنغام، و من ثم راعى انتقاء الألفاظ والمعادلة في تقطيع جمل الألغاز، بحيث تفضي إلى ترسل شعبي قائم على الإيقاع الصوتي الذي يسهل

حفظه و تداوله عبر الأجيال التي الفت منذ قديم الزمان الشغف بالألحان الحسان، و ما ذاك إلا لما في النفس من ميل إلى أرقى وأعمق وأدق الوقع .

فالألفاظ على تنوعها قد تكون لذيذة كنغمة الأوتار، أو تكون رديئة منكرة كصوت الحمار. و لها على ذلك في الفم حلاوة العسل أو مرارة الحنظل ،لأنها تجري مجرى النغمات و الطعوم [8] .

لهذا أولى الجاحظ أهمية كبرى لجمال الصياغة، لما لها من مكانة في معيار البراعة، على خلاف المعاني التي هي كما قال :

((مطروحة في الطريق، يعرفها العربي و العجمي، و البدو والقروي))[9]، فالشأن ليس في الإتيان بها و إنما في إخراجها في سبك جيد يضفي عليها طابعا جذابا ،سواء من حيث الوزن أو اللفظ أو المخرج، فجميعها تتضمن حسن الاختيار وجودة الصقل و براعة الصياغة التي لا يشترك فيها الناس اشتراكهم في الأفكار التي يضفي عليها كل واحد أسلوبا خاصا به .

و من ثم كان المبدع الشعبي يؤثر الإيقاع اللفظي، إما عن طريق السجع أو الازدواج. وكلاهما يحسن منثور الكلام بل ويحليه،((و لا تكاد تجد لبليغ كلاما يخلو من الازدواج، و لو استغنى كلام عن الازدواج لكان القرآن الكريم؛ لأنه في نظمه خارج من كلام الخلق، و قد كثر الازدواج فيه حتى حصل في أوساط الآيات، فضلا عما تزاوج في الفواصل منه))[10].

((وكان صلى الله عليه و سلم ربما غير الكلمة عن و جهها للموازنة بين الألفاظ وإتباع الكلمة وأخواتها))[11]، مراعاة لحسن الموقع، ((و الحكيم العليم بالكلام يتكلم على قدر المقامات))[12]

وهذا ما كان من الفنان الشعبي ، فديدنه الحرص على التوقيع الصوتي الذي يخدم الحفظ و يروج التراث ويحفظه من الضياع، بدليل أن ((ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، فلم يحفظ من المنثور عشره و لا ضاع من الموزون عشره))[13]، وما ذاك إلا لعزوف النفس عن الأسلوب المرسل وجنوحها إلى الموقع، على نحو ما نجد في صياغة لغز الخيمة :

((طيها طي كتاب، و لونها لون غراب)).

فهل أن لون الخيمة يشبه حقا سواد الغراب ؟

وهل من عادة البدو اتخاذ هذا اللون للخيم؟

طبعا لا؛ لأن البدو من عاداتهم الميل إلى اللون الصارخ الفاقع الموشى. و لكن الذوق الشعبي آثر لفظ (الغراب)لإقامة الوزن أو التعادل الصوتي و خاصة في التقفية. و مثل هذه الصياغة صياغة الغاز كثيرة ،و لكن هذه الظاهرة لا تندرج تحتها كل الألغاز القائمة على التوازن الموسيقى النابع من السجع الذي هو ضرب من ضروب البديع في البلاغة العربية. و ما حرص الفنان الشعبي على ذلك إلا لإثارة الانتباه و إضفاء مسحة التفخيم و التحسين و تيسير الحفظ و ترويج اللغز و إلا فماذا نقول في صياغة الألغاز التالية :

أ-لغز الكلب : مزود صوف يبات يشوف.

ب-الحية و الماء : يتلوى ما يعيب، يتطبخ ما يطيب.

ج-السيارة: دبه و دبيبه ،كحلة و غريبة، تهز قوافل و تمشي بلا حوافر .

د-الشمس : تبدأ بالسين، ماهي سلسلة ماهي سكين،

ماهي مشروع اللبانة، فكها و الا نوض من حدانا .

فالمساواة لبن الأجزاء دليل على إيثار الذوق الشعبي للتوقيع الصوتي، فالفواصل على زنة واحدة و روي واحد.و قد تشذ عن هذا الغاز في أجزاء، كأن يكون جزء أطول من آخر، كالجزء الأخير من لغز السيارة، والجزء الرابع من الشمس السابقي الذكر .

و ليس هذا بغريب عن شروط و جوه السجع والازدواج، لأنه هو نفسه ما يطلب في البلاغة إذا لم تكن الأجزاء متوازنة. و قد يجئ الجزء الأخير أقصر من الأول، كما هي الحال في كثير من ازدواج الفصحاء، كقوله صلى الله عليه و سلم :

((رحم الله من قال خيرا فغنم، أو سكت فسلم))[14]

2 . تنوع صور التعبير عن الموضوع الواحد :

إن تعدد منشئ الألغاز و تداولها عن طريق الرواية على مر الزمن، جعل لبعض الألغاز ذات الموضوع الواحد صيغا متباينة كما في الألغاز التالية:

أ- لغز السلحفاة :

- حجره محجرة ، حجره لا !..مخزوز مطروز،

محرمة، لا ! سكن في البحور، حوته لا !

-عندها أربعة كرعين ، بقرة لا !.تغطس و تعوم،

حوته ،لا! تولد البيض، دجاجة لا ! مزرقطة و محرملة .

- سرح في الخلاء، ماهو معزه، و يعوم في الماء، ماهو حوته.
- ارحيه فوق ارحيه و ارحيه ما تطحنش، رأسها رأس الأفعى و هي ما تلدغش.
- من فوق لوح و من تحت لوح و في الوسط روح.

ب-لغز الرسالة :

- طرشا و تجيب لخبر وين ما كان.

. عندي دجاجة بريشها و تجيب لخبر في كرشها

- زحافة و تنقر الحيطان، و تجيب لخبر وين ما كان.

ج - لغز البيضة :

- كيفها كيف أسمها.
- باها بنت باها، ما تعرف وجها من قفاها .
- قربتي زنده، زنده،ما تقطر ما تندى.
- طرفها خشب وسطها ذهب.
- عربية جات من لعرب، قالت :آش هذا لعجب، الفضة راكبة الذهب.
- فاينكم يا العراف و الفاهمين،خبروني : أنا شفت الفضة راكبة الذهب و إذا كذبت ذبحوني .

فأسلوب التعبير عن اللغز الواحد واضح التباين، بسبب ملكة الخيال المستخرجة . في أوقات مناسبة . ضروبا من الصور التعبيرية المنسقة لأوجه الشبه بين المشبه و المشبه به، و هما آتيان من مدركات مكتسبة بالتجارب

أو بالمطابقة بين الحسيات نفسها، ثم الخلق أو التأليف، كالذي نجده، في لغز السلحفاة من تتطابق بين الرحى اليدوية و الحجرية، و بين قوقعة السلحفاة، و الصلابة هي وجه الشبه بينهما .

فخيال المبدع الشعبي مرتبط برباط معقول تقترن فيه صورتان حسيتان تخبران عن معنى منوط بحقائق أو دقائق معروفة، قد تشعرنا بأكثر مما كنا نشعر به. وهما متأتيان من تتطابق بين الرحى اليدوية الحجرية وقوقعة السلحفاة، و الصلابة هي وجه الشبه بينهما.

فخيال المبدع الشعبي مرتبط برباط معقول تقترن فيه صورتان حسيتان تخبران عن معنى منوط بحقائق معروفة قد تشعرنا بأكثر مما كنا نشعر به.و يتفاوت هذا عمقا بتفاوت الإدراك و التجارب التي ترتكز عليها الحقائق، وهي تطبيق لادراكاتنا الحسية على تجاربنا العادية أو اليومية و العاكسة لنوع من الخبرة أو المعرفة أو العلم والثقافة والفهم للموضوع المعالج معالجة قد ترقى إلى كل كبير يثير الإعجاب بسبب الإغراب في المبنى المعبر عن الفحوى تعبيرا يختلف فيه المنشئون باختلافهم في الرصيد اللغوي و القدرة على السمو باللغة إلى مستوى فني أو التعبير التصويري ذي اللمحات الفنية و المعنوية التي تشيع المتعة و الغرابة في آن واحد .

و في ذلك نجد ((الناس بين عاشق للمعاني، تابع لها، فالألفاظ تواتيه عفوا، و كلف بالألفاظ والمعاني تعصيه أبدا،فأما من جمع بين هذه و هذه ،و كان قيما بمنثورها و منظورها ،عارفا باختلاف مواقع تأليفها، فانه الحاوي قصب الرهان و المعدود في أفاضل الزمان))[15].

والناس يتفاوتون في ذلك؛لان (في)الألفاظ الخفة و الثقل، و الرقة و الجزالة، و منها ما يكرهه السمع،و يمجه الطبع، و منها ماهو جميل الوقع على الأذن ،حسن الأثر في النفس و منها ماهو فخم كأنه يجر ذيول الأرجوان أنفة و تيها. و منها ماهو ذو قعقعة كالجنود الزاحفة في الصفيح. و منها ماهو كالسيف ذي الحدين، و منها ما هو كالنقاب الصفيق يلقى على بعض العواطف ليستر من حدتها و يخفف من شدتها.

و منها ماله ابتسامة السماء في ليل الشتاء !

من الكلام ما يفصل كالمقرعة و منه ما يجري كالنبع الصافي))[16]، ولكل منها موضع لايصح الا لها .

3 . الرمزية :

تكمن في إخفاء المراد وراء ألفاظ و ألوان بيانية كالاستعارة و الكناية و التورية و المجاز و التشبيه بغية إثارة التفكير للغوص في أجواء المعاني مـن طريق المناسبة أو المشابهة في الشكل أو اللون أو الصوت، و ذلك بادراك الترابط و المقارنة أو أوجه الشبه و الاختلاف .

وهذا ما جعل لغة الألغاز بعيدة المقصود أو بعيدة عن المفهوم العادي لدى الناس؛ لان الأشياء في اللغز لا تدرك بسماتها الكلية المصطلح عليها في اللغة المتداولة، وإنما يشار بها إلى مغزى أو معنى عميق. لهذا كان اسم الشيء في اللغز له معان كثيرة مما يغرب لغته بهدف اختبار مقدرة معرفة المسؤول .

والحقيقة التي تنال بعد الطلب و الاشتياق لها و معاناة الوصول إليها تكون في النفس أحلى و بصاحبها أولى، غير أن بعض الألغاز تغرق في الإبهام إغراقا لا يخلو من الشطط، لدرجة انطماس منافذ المغزى للتباعد الموجود بينه و بين المماثلات.

وعلى هذا الأساس يكون لدينا نوعان من الرمزية من حيث النسج : قوية و ضعيفة. و من أمثلة الأولى لغز (اللسان):

أ . شعرا :

على حوته تبريق *** في الماءالازرق

صفين جوهـر *** و الباب يغلق

ب . نثرا:

بالأبيض يدرس و بالأحمر يلايم، و الساقية تجري، و البحر حابس.

ففي الأول رمز اللسان و الريق و الأسنان والفم. و في الثاني رمز إلى الأسنان و المضغ و جمع اللسان للطعام و جريان السوائل في البلعوم، ثم رمز إلى البطن الماكث في و ضعية ثابثة .

و من الرمزية الثانية لغز رمضان :

((جانا ضيف و ضيفناه، ذبحنا له طير النـي، كان ميت و ارجع حي)).

فإذا قارنا بين الرمزيتين، نجد الأولى محبوكة النسج، لما بين الدال و المدلول من تطابق في أوجه الشبه، و قد سلك القائل إلى ذلك سبيل التورية، حيث أطلق كل جملة على معنى بعد أن احتال في إخفائه بمعنى قريب ليس هو المراد.و في هذا ما يوحى بصفاء الذهن و بعد المخيلة و إجادة التعبير في طرق متباينة. وهذا تفتقر إليه الرمزية من النوع الثاني؛ لما بينهما و بين المقصود من غموض يطيح بكل علة أو قرينة تفضي إلى معرفة الحقيقة التي تبقى بحوزة منشئ اللغز.

4 . التكرار:

نقف على هذا في ألفاظ أو حروف، و ذلك للتقرير أو الإثارة الذهنية، و قد يقل هذا أو يكثر بحسب طبيعة اللغز أو منشئه .

و من أمثلة ذلك تكرار كلمة (ارحيه)في لغز السلحفاة السابق الذكر. و قد يكون التكرار شاملا لكلمات متتالية ،كلغز الإبرة و المقص :

((زوج اخواتات متواليات جايات من بر النصارى، وحده تخدم الصلاح، وحدة تخدم لخساره)).

و هذا التكرار نجده أيضا في الألغاز الشعرية، فمن ذلك لغز :

(خروج الروح من الجسد) :

على ابنيه كاريه دار***و الدار وفات كريتها

خرجت البنت من الدار ***نتنت الدار ريحتها

إن التكرار في اللغز قد يختص بالحرف أو الكلمة أو الجملة، و هو يضفي على اللغز ظلالا من الجمال الموسيقي أو الصوتي أو مسحة من الروعة، فضلا عن كونه مساعدا على إيضاح المعنى أو تقريره أو الإلمام بأطرافه الماما لا يخلو من طلاوة، و في هذا ما يوحي بنزعة الفنان في إنشاء اللغز، و هي نزعة وثيقة الصلة بالذوق الفني الذي يزن الكلام بميزان دقيق حساس بمواطن الجمال. و هذه الظاهرة معروفة في الأدب العربي، تميز بها الجاحظ[17]و كتاب القرن الرابع للهجرة، و ما بعده.

وليس من شك في أن هذا التكرار هو من قبيل الأداء الفني الجميل مادام قائما على الدقة في اختيار الكلمات ضمن تراكيب مؤتلفة و معبرة اصدق تعبير وأفصحه.

و المرء لا يكون كاتبا إلا إذا أجاد اختيار الألفاظ؛ لأنها أفكار، وهده مرآة لما في العقول، و لا سبيل إلى الإتقان إلا بالتمكن من نواصي البديع والبيان. فضلا عن قواعد النحو والصرف وأساليب البلاغة في صيغ المعاني وتنسيق الألفاظ. (و أظن أن الشعب الأول في العالم، هو الشعب الذي يملك أحسن الأصول في النحو و تنسيق اللفظ و قد يقع في اغلب الحالات أن الرجال يتناحرون بسبب كلمات لا يدركون معانيها، و لو فهم بعضهم كلام بعض لتعانقوا، و لا شيء يعمل على رقي العقل البشري مثل الدراية بكل شيء) [18].

5 . طابع الحكاية الشعبية

إن أسلوب الألغاز قد يتخذ طابع الحكاية الشعبية، و هي تمثل إحدى القدرات التي يمتلكها الفنان الشعبي في التعبير بعدة أشكال، و من ذلك لغز البيضة السابق الذكر، و لغز القلم القاتل :

يا جماعة يا ملموسة *** يا اللي تسمعوا في الميدان

ع اللي يمشي على راسه ***ناطق يتكلم بلا لسـان

تلك هي جملة خصائص أسلوب الألغاز و الأحاجي التي كانت و لا تزال متعة مجالس الأنس و نزهة الخواطر في مجال الابتكار و الانجاز، و هو مجال خصب و رحب يتصل بكل ما يلابس العقلية، و هي بالتالي تصور لنا مرانا طويلا على استخدام العقل فيما تستر حقيقة و تعلن عن صفاته في أسلوب مرسل أو مسجوع أو منظوم، مما يقتضي إعلان الفكر و الخيال للاهتداء إلى المطلوب. قد تشترك في البحث عنه ثلة من الرفاق، وقد يكون الحل معارضة لأسلوب اللغز، و في كل الأحوال فانه يدل على معرفة متنوعة بمجال اهتمام العقلية الشعبية، و منه الاهتمام الروحي الذي تتجلي من خلاله ظواهر في الحياة تكشف عن حقائق الأشياء التي سبر معناها الإنسان الشعبي المتضلع في اللغة و التجربة و المعرفة، الأمـر الذي مكنه من النظر إلى المشكلة نظرة كلية أو جزئية، و لكنها عميقة متفحصة توحي بثقافة شعبية و تربية عملية لها مجالات توفقنا على دلالات متباينة باختلاف بيانات الألغاز و مبدعيها و المدركات التي تنتهي إلى هذا التراث الشعبي الأصيل الهادف الذي يتيح للبحث أن يستخلص منه جملة قيم اجتماعية أو ثقافية أو حضارية أو تاريخية أو دينية، و هذا بحسب معناه الجواني والبراني .

الهوامش:

1-البانتو banttous(شعوب إفريقيا الجنوبية الزنوج. أهم تجمعاتهم في ترانسكاي و بوفوثاتسوانا و قاندا و سيسكاي. و تقع دولة ترانسكاي على المحيط الهادي، عاصمتها أمتاتا. أو دولة زنوج بانتو ،إحدى ولايات افريقيا الجنوبية التي منحتها الاستقلال 1976م، رغم معارضة منظمة الوحدة الإفريقية أما بوفوتاتسو bouphotatsswana فهي احدى ولايات زنوج بانتو في شمال إفريقيا الجنوبيه، عاصمتها مایاقو، منحتها إفريقيا الجنوبية الاستقلال 1977م، رغم معارضة منظمة الوحدة الإفريقية. و إما سيسكاي فهي إحدى الولايات زنوج بانتو في جنوب إفريقيا الجنوبية على المحيط الهادي، عاصمتها بيشو، منحتها إفريقيا الجنوبية الاستقلال رغم معارضة منظمة الوحدة الإفريقية التي اعتبرت الأمر انعانا في تقسم الزنوج و ترسيكا لسياسة التميز العنصري. المنجد في اللغة و الإعلام، بيروت ،منشورات دار النشر، ط1991،31م، قسم المنجد في الإعلان، ط1991،17م)، المواد:البانتون، ترانسكال، بوفوتاتسوانا سيسكاكي .

2-اشكال التعبير الأدبي الشعبي، للدكتورة نبيلة إبراهيم، ص 155.عن the james fasor.golden bough ,vol 3, p 154

3-أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 155.عن the golden bought .vol 7p 194

4-القيافة:الاستدلال من آثار الأعيان. و هي نوعان: قيافة البشر و ذلك بالاستدلال بملامح الوجه و شكل الأعضاء على نسب الإنسان. و قيافة آثار، و هي الاستدلال بالأقدام و الحوافر.

5-العيافة :زجر الطير بحصاد، فان طار يمينا بالنسبة للزاجر تفاءل، و إن ولاه ميامنه اخذ في سفره طريقة اليمين، و ان ولاه مياسره،اخذه شمالا.

6-الريافة : الاستدلال بالنظر إلى تربة الأرض و أعشابها على امكنة الماء في باطن تلك الارض .

7-اشكال التعبير في الادب الشعبي، ص155.عن the golden bought .vol9.p 221-222

8-المثل السائر لابن الاثير،155/1.

9-الحيوان للجاحظ 131/3-132.

10-كتاب الصناعتين لابي هلال العسكري ،ص266وما بعدها .

11-نفسه.

12-نفسه.

13-البيان و التبيين للجاحظ،281/2. و العمدة لابن رشيق،20/1.

14-كتاب الصناعتين، ص269.

15-البصائر و الذخائر لأبي حيان التوحيدي،369/1.

16-الإمام علي، روائع نهج البلاغة، لجورج جرداق ص30..

17-انظر البخلاء للجاحظ ص 9،95. و الحيوان للجاحظ،38/1(نعث الكاتب).

18-الجاحظ معلم العقل و الأدب، لشفيق جبري، ص262.

و النص ترجمة لقول اناتول فرانس في اثناء حذيثه عن الاسلوب عند لافونتين .

المصادر و المراجع:

1-إبراهيم (الدكتورة نبيلة)، اشكال التعبير في الادب الشعبي (القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة و النشر، بدون تاريخ).

2-ابن اثير (ضياء الدين)، المثل السائر في ادب الكاتب و الشاعر، قدمه و علق عليه: دكتور احمد الكوفي و دكتور بدوي طبانة (القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة و النشر، بدون تاريخ).

3-التوحيدي (ابوحيان)،البصائر و الدخائر (دار الكتب).

4-الجاحظ (ابو عثمان عمرو بالبحر)، البخلاء، حقق نصه وعلق عليه: الدكتور طه الحاجري، (مصر، دار المعارف بدون تاريخ).

5-الجاحظ، البيان و التبيين، تحقيق حسن السندوبي .

6-الجاحظ، الحيوان،ت حقيق عبد السلام هارون (بيروت، دار احياء التراث العربي، ط3،1388 هـ /1969م).

7-جبري (شفيق)، الجاحظ معلم العقل و الادب(القاهرة، دار المعارف، 1948 م).

8-جرداق(جورج)، الإمام علي روائع نهج البلاغة (بيروت، دارا لشروق 1395هـ/1975م).

9- ابن رشيق القيرواني(456هـ/1063م)، أبو علي الحسن بن علي، العمدة في محاسن الشعر و آدابه ونقده. تحقيق محمد حسن قرقزان (بيروت، دار المعرفة ط1،1408هـ/1988م)

10–السيوطي :(ت911هـ/1605م)، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي جابر –المزهرفي علوم اللغة و أنواعها. تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم و آخرين، القاهرة 1958م.

11–العسكري(أبو هلال)، كتاب الصناعتين، الكتابة و الشعر، تحقيق:

علي محمد البجاوي، و محمد أبو الفضل إبراهيم (عيسى البابي الحلبي، و شركاه1971م).

12–مرتاض (الدكتور عبد الملك)، الالغاز الجزائرية دراسة في الغاز الغرب الجزائري (الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية،1982 م).

13–المرزوقي (محمد)، عبد الصمد قال كلمات تشنشين(الدار التونسية للنشر1968م).

14–ابن منظور (عبد الله محمد بن مكرم الانصاري الخزرجي)، لسان العرب (بيروت، دار صادر، ط1414،3هـ /1994م).

15–ابن النديم (380هـ/1950م)، ابو محمد بن اسحاق الفهرست .

حققه و قدم له : مصطفى الشويمي، تونس، الدار التونسية للنشر –الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب،1985م.

16–ابن وهب : أبو إسحاق بن ابراهيم بن سليمان، البرهان في و جه البيان .

تحقيق :الدكتور احمد مطلوب و الدكتورة خديجة الحديثي،بغدا،1967 .